اليهودية طابع التنظيم الدقيق بعد أول مؤتمر صهيوني في بال في سويسرا عام ١٨٩٧ بزعامة تيودور هرتسل.

ولكن ظهور «الحركة اللاسامية» كان نتيجة لأسباب متعددة تعود بشكل أساسي للتقدم الذي احرزه اليهود والسيطرة على كثير من نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية خصوصا، بعد الثورة الامريكية والثورة الفرنسية. «ويلاحظ من مختلف نشاطات اليهود وأوضاعهم في اوروبا، خلال هذه الفترة، خصوصا في فرنسا والمانيا وبريطانيا، انهم كانوا قد وصلوا، خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر، بعد أن منحت لهم الحقوق المدنية، إلى مرحلة متقدمة من الاندماج بالشعوب التي يعيشون بينها، واعتبار أنفسهم جزءا منها، بعد أن انغمس الكثيرون منهم في الحياة السياسية فيها»(١١) . كما كان للحركة اللاسامية تأثير كبير في صهينة عدد كبير من قادة الحركة الصهيونية الذين كانوا من دعاة الاندماج، ومنهم هرتسل الذي أعلن ان اليهود يحملون اللاسامية معهم اينما ذهبوا. والمعروف ان فترة الاضطهادات التي تعرض لها اليهود لم تقتصر عليهم فقط، بل هناك الكثير من الطوائف المسيحية التي تعرضت لاضطهادات مماثلة إن لم يكن اكثر قسوة ووحشية، كما تعرضت طبقات اجتماعية ايضا لانواع مختلفة من العذاب، ومحاكم التفتيش الاسبانية وفظائعها تمثل شاهدا كبيرا على تلك الاعمال والممارسات. ولكن الجدير ذكره ان دعاة الانعزال بين اليهود برعوا في فن الدعاية والاعلام، وأظهروا ان هذا الاضطهاد كان مقصورا عليهم وذلك من أجل إثارة الشفقة والرحمة، كما لم يكن هذا الاضطهاد بسبب الانتماء الديني، لأن أحداث التاريخ تبرهن بوضوح أن معظم الصراعات ـ حتى الدينية منها ـ كانت تقوم على أساس التناقضات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقد كان هذا الاضطهاد نتيجة الامتيازات الاقتصادية التي تمتع بها عدد من اليهود في المجتمعات الاوروبية، والتي انعكست بدورها على مركزهم الاجتماعي والسياسي والثقافي، مما كان له اكبر الاثر على الفئات المسيحية في هذه المجتمعات . ونذكر على سبيل المثال كيف كان وضع اليهود في روسيا حيث «كانت اكثريتهم تعيش على التجارة والحرب واستئجار المزارع والحانات والمطاعم والفنادق وتشغيلها بحيث كانوا حلقة الوصل بين الاقطاعيين الروس او البولونيين وبين الفلاحين»(١٢).

فالانغلاق النفسي والجغرافي، ورفض اندماج اليهود في المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها بالرغم من افتقارهم للعوامل الأساسية المكونة للقومية، جعل بعض غلاتهم المتعصبين يستنجدون «بعرقيّتهم» لاثبات وجود قومية لهم: «يقولون لنا ان العاطفة القومية هي التي تمنع اليهود من الاندماج، ولكن ما هي هذه العاطفة القومية، اي نوع غريب من القوميات هي قوميتنا غير الحيّة، والتي لا تموت، اين تقع مكامن قوتها، نحن لا نملك بلدا، وليست لنا لغة قومية حيّة بل عدد من اللغات التي نقلناها عن الآخرين، أما ديننا فيسير نحو الزوال، وهناك كثير من المتدينين؟ الجواب ان هناك قوة اساسية في داخل كل منا تناضل من أجل بقائها، وتحاول ان تحقق نفسها، هذه القوة هي انتماؤنا العرقي»(١٣).

ويضيف احد المفكرين الصهيونيين عاملا آخر إلى عوامل «القومية اليهودية» حيث يقول إن «ثمة واقعا هو كون الشعب اليهودي قد وعى وجوده كشعب طيلة العهود التي مرت على وجوده التاريخي تقريبا»(١٤) . ويضيف مفكر صهيوني آخر إلى عوامل القومية عاملا آخر هو عامل القيم حيث يقول «ان ما حافظ على وحدة اليهود جملة من القيم التي ارتبط اليهود بها بقوة، الوعي اليهودي، وتصورهم لأنفسهم، ومكانهم في حفظ الله»(١٥).

على هذا الاساس، «فالقومية اليهودية» إذن تتلخص عواملها بنقاط أربع: ١ ـ العاطفة القومية؛ ٢ ـ الانتماء العرقي؛ ٣ ـ الوعي اليهودي؛ ٤ ـ القيم اليهودية. وهذه العظمة التي يتبجّح بها الصهيونيون، والتفوق الروحي لا يقتصر فقط على الفكر الفلسفي الصهيوني بل أن سياسيا